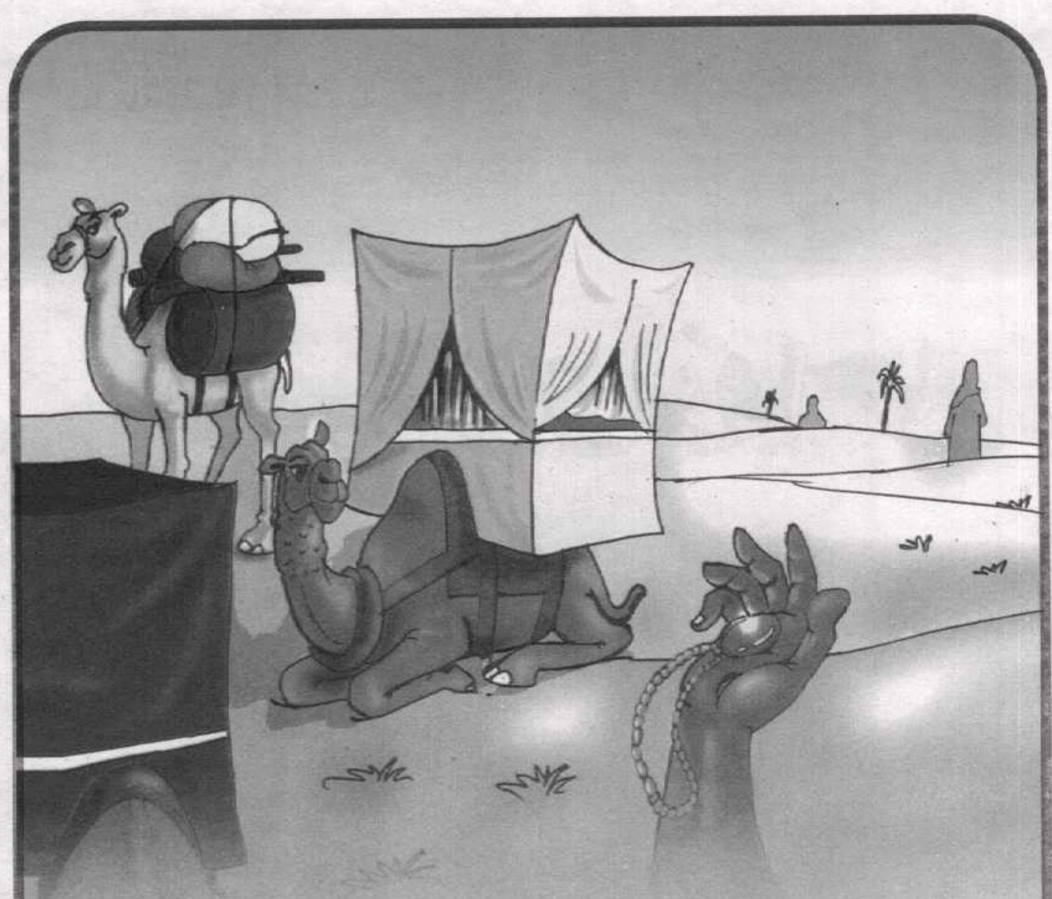
سلسلة السيرة النبوية



الرسول و أزواجه

إعداد : مسعود صبري

رقم الإيداع: ٢٠٠١/١٨٠٠٣



عرف الرسول صلى الله عليه وسلم بوفائه لأزواجه، وخاصة خديجة بنت خويلد، فلقد كانت نعم الوزير له. ولم يتزوج الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بعد موت خديجة بثلاث سنوات، وكان كثيراً ما يذكرها، بل كانت لا تفارق فؤاده، فقد كانت نعم الزوجة الصالحة له.

ولقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم بوفائه لخديجة حتى بعد موتها، ففي غزوة بدر، وقع أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأسر، وكان لا يزال على شركه، فرقَّ قلب زينب له، فأرسلت زينب قلادة تفديه بها، وكانت هذه القلادة هدية خديجة لابنتها زينب يوم زفافها، فلما أرسلت زينب القلادة تفك بها أسر زوجها. رآها الرسول صلى الله عليه وسلم وتذكر خديجة. فرق قلبه لها، واستأذن الصحابة أن يفكوا أسير ابنته، وفاءً لذكرى خديجة، وأن يردوا إليها قلادتها، فأسرع الصحابة ملبين طلب النبي صلى الله عليه وسلم.



ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يفضل على خديجة أحداً من نسائه، حتى أن السيدة عائشة كانت تغار منها بعد موتها، وهي التي لم ترها، ففي يوم من الأيام والرسول صلى الله عليه وسلم جالس مع عائشة، سمع صوت هالة بنت خويلد أخت خديجة من فناء البيت، فلفرط حبه لخديجة فقال: اللهم هالة. فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون هي هالة، فقد كان الرسول يحب كل من لها بخديجة صلة، فلم تتمالك عائشة نفسها، وقالت له: مازلت تذكر امرأة عجوزاً قد ماتت، أبدلك الله خيراً منها، تعني نفسها.

فغضب النبي صلى الله عليه وسلم من عائشة، وزجرها قائلاً:

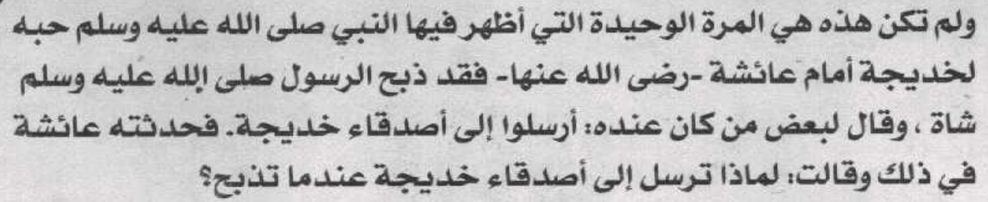
والله ما أبدلني الله خيراً منها ..آمنت بي حين كفر الناس .. وصدقتني إذ كذبني الناس .. وواستني بمالها إذ حرمني الناس .. ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء.

فعرفت عائشة -رضى الله عنها- خطأها، فأمسكت عائشة عن الكلام، وهي تقول في نفسها: والله لا أذكرها بعدها أبداً، وقد كانت قبل ذلك تذكرها كثيراً.

ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي أظهر فيها النبي صلى الله عليه وسلم حبه لخديجة أمام عائشة -رضى الله عنها- فقد ذبح الرسول صلى الله عليه وسلم شاة ، وقال لبعض من كان عنده: أرسلوا إلى أصدقاء خديجة. فحدثته عائشة في ذلك وقالت: لماذا ترسل إلى أصدقاء خديجة عندما تذبح؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني لأحب حبيبها. وقال لها يوماً: إني قد رزقت حبها. ومن فرط حب النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة، قالت السيدة عائشة: ما حسدت امرأة ما حسدت خديجة. وما تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعد ما ماتت.

وفي يوم فتح مكة، بعد أن كتب الله تعالى النصر للمؤمنين، وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى البلد الذي طرد منه، لم ينس الرسول صلى الله عليه وسلم خديجة، فقد اختار مكاناً بجوار قبرها، يشرف منه على فتح مكة، ليأنس بروح خديجة، وفاءً لما فعلته من رفع للواء الإسلام، وجهاد في سبيل الله، فقد كانت نعم الزوجة الصالحة.



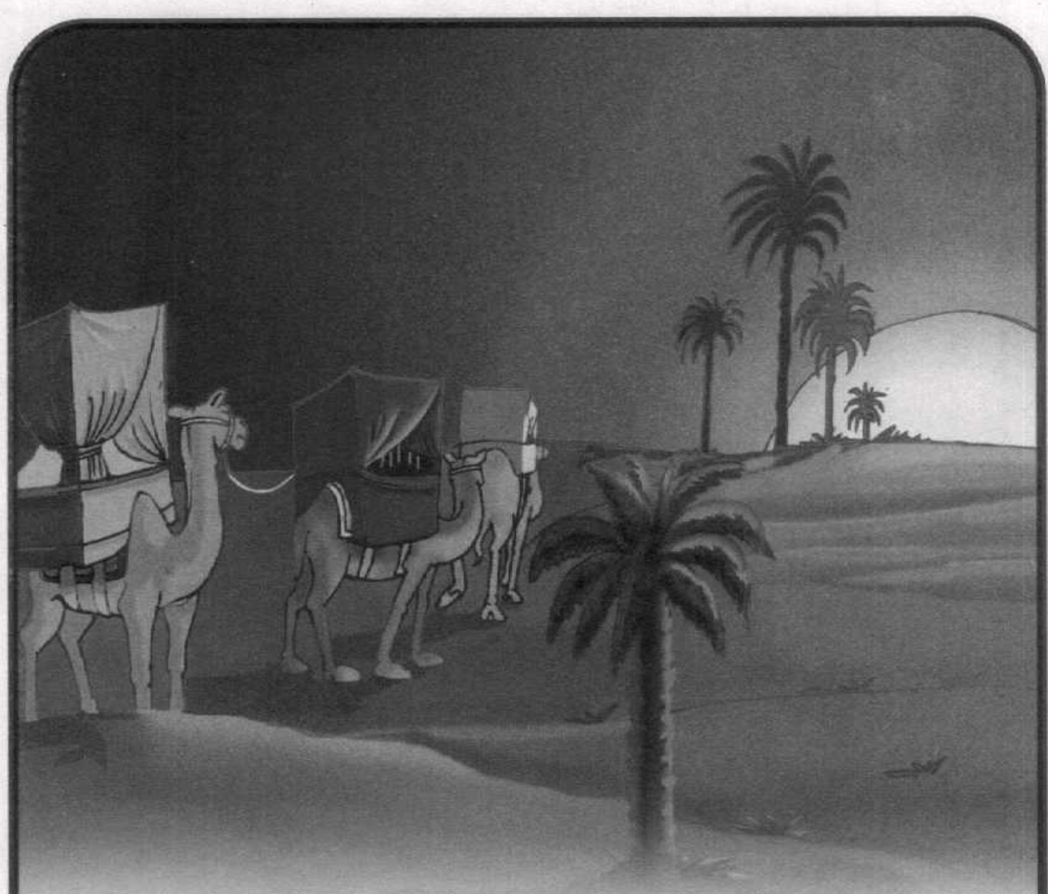




وعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يرضي أمهات المؤمنين فيما ليس فيه مخالفة لله تعالى، ففي يوم من الأيام رأت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يضم إليه الحسن والحسين وأمهما فاطمة -رضى الله عنهم- ثم قرأ قول الله تعالى: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد».

فبكت أم سلمة، وسال الدمع من عينيها، ونظر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الحال، فسأل عن سر بكائها، فأخبرته أنه خص ابنته فاطمة وولديها، وجعلهم من أهل البيت، ولم يجعلها وهي زوجته من أهل البيت، فخفف الرسول صلى الله عليه وسلم عنها، وأرضاها قائلاً: «إنك وابنتك من أهل البيت» ففرحت أم سلمة فرحاً كبيراً، فهي تحب القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحب أن تكون معه دائماً.

إن المرأة الصالحة الوفية تحب أن يذكرها زوجها، وقد كان صلى الله عليه وسلم خبيراً بالنفوس، فأرضى أم سلمة، وخفف عنها حزنها.



وقد شاع بين الناس أن المرأة شر، وأنه خاب من استشار امرأة في شأن من الشئون، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أصلح ما كان منتشراً بين كثير من القبائل العربية، بل في معظم العالم، فكان يستشير زوجاته، ويأخذ أحيانا برأيهن، فالمرء يبحث عن الرأي السديد، مهما كان الذي قاله، فليس العبرة بالقائل، وإنما العبرة بالقول.

وفي عمرة القضاء التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤديها، بدلاً من العمرة التي كان يريد أداءها في عام الحديبية، وقد منعته قريش، وجعلته يعتمر في العام المقبل، فعرفت هذه العمرة بعمرة القضاء، خرج الرسول صلى الله عليه وسلم للعمرة ومعه أصحابه، فأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يذبحوا الهدى ويحلقوا رءوسهم ، لأن هذا من شعائر العمرة.

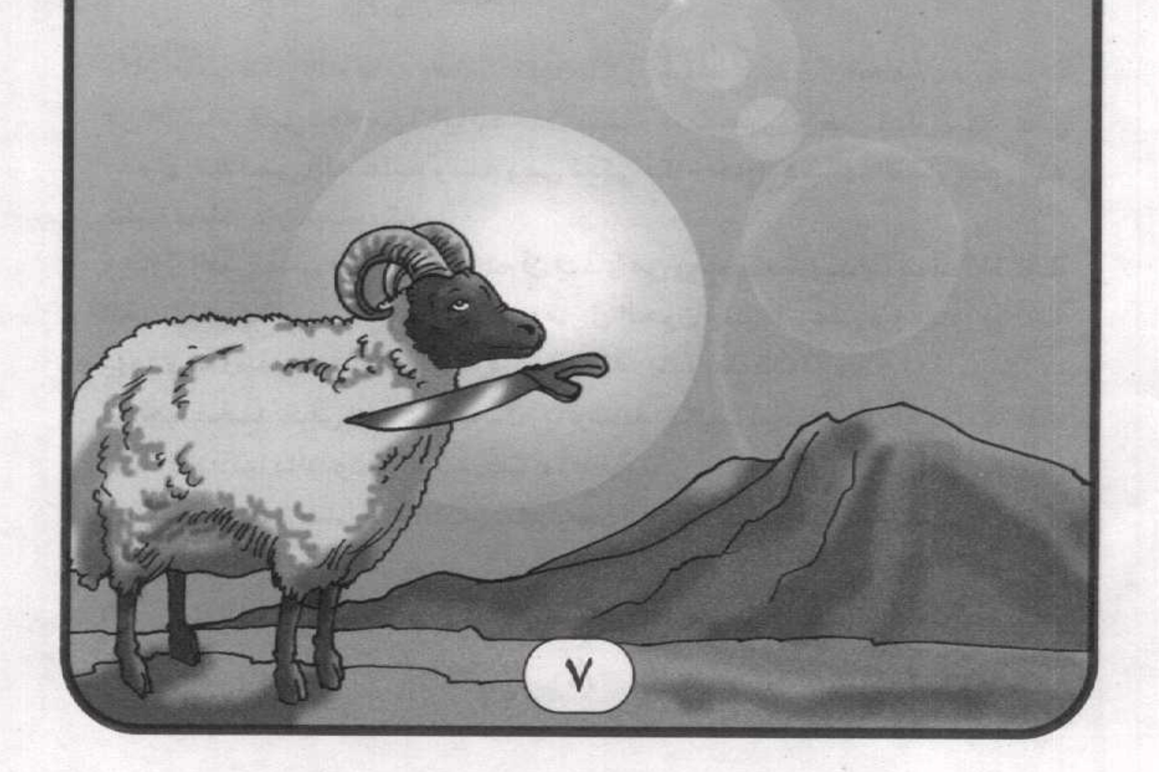
ولكن كانت المفاجأة، فلم يستجب أحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الأمر صدمة عنيفة، فكيف يتقاعس الصحابة عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم؟!

ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم حجرة أم سلمة، وحكى لها ما حدث، وكيف أن أصحابه لم يطيعوه!

ورأت أم سلمة الرسول صلى الله عليه وسلم حزينًا، فمخالفة أمره تعني هلاك الصحابة.

فأشارت أم سلمة -رضى الله عنها- على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم هو بالذبح والحلق، فإذا رآه الصحابة اقتدوا به، وصنعوا مثلما صنع.

واستحسن الرسول صلى الله عليه وسلم رأي أم سلمة، فقام الرسول صلى الله عليه وسلم فذبح الهدى الذي يذبح في العمرة، ثم أمر الحلاق فحلق رأسه، فلما رأى الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك، أسرعوا يذبحون، ويحلق بعضهم لبعض، حتى كاد يجرح بعضهم بعضًا من شدة إسراعهم في تنفيذ ما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، وحمد الرسول صلى الله عليه وسلم ربه أن أطاع الصحابة أمره، وكان ذلك بركة استشارة أم سلمة، وهذا تقدير من الرسول صلى الله عليه وسلم للمرأة.





وكان النبي صلى الله عليه وسلم حنونًا على زوجاته، لا يفضل واحدة على غيرها من النساء، ففي يوم من الأيام دخلت صفية بنت حيي -رضى الله عنها- على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي بكاءً حاراً، فسألها النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب بكائها.

وحاول النبي صلى الله عليه وسلم أن يهدئ من روع صفية، وبدأت صفية تلتقط أنفاسها، وتهدئ من حزنها، وقالت ومازال الحزن يسيطر على وجهها: أأنا بنت يهودي يا رسول الله؟ لقد آمنت صفية بالله رباً، واعتنقت الإسلام ديناً، وشهدت لزوجها محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، فكيف توصف بأنها يهودية، لقد أنهت علاقتها باليهودية، وأصبحت أماً للمؤمنين.

فلما سألها النبي صلى الله عليه وسلم عمن قال لها ذلك، أخبرته أن بعض أزواجه هن اللائي قلن لها ذلك.

فقال لها: إنك لابنة نبي، وإن عمك نبي، وإنك لتحت نبي، ففيم الفخر عليك؟!

لقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم قضية صفية، وأظهر لها خطأ من قالت لها ذلك، فهي من نسل هارون عليه السلام، فكأنها ابنة نبي، وأن عمها موسى -عليه السلام- فقد كان هارون أخًا لموسى، وقد تزوجت نبي هذه الأمة، فلماذا تفخر إحدى زوجاته عليها، إنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح.

وانتشر الخبر في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي عرف ما قيل عن صفية، وعرفت القائلة خطأها، ولم تعد إليه مرة أخرى، فقد أظهر الرسول صلى الله عليه وسلم مزايا وفضائل صفية.

وعادت صفية بعد أن حل الرسول صلى الله عليه وسلم مشكلتها، إذا تفاخرت إحداهن بشيء، أو ذكرت من مآثرها شيء، تقول دون أن تغضب، أو تشعر أن الكلام لها، وهي تخاطب حفصة بنت عمر، وعائشة بنت الصديق. كيف تكونان خيراً مني؟ وزوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى.



كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب زوجاته، ويحرص عليهن، بل كان يغار عليهن كما يغار الشريف على أهله. ففي يوم من الأيام، دخل عبد الله بن أم مكتوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رجلاً أعمى، فجاءت اثنتان من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرهما النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجبا عنه. فقالتا: يا رسول الله، إنه أعمى، لا يبصرنا ولا يرانا.

ولكن لغيرة النبي صلى الله عليه وسلم أمرهما أن يحتجبا، فقال: «أفعمياوان أنتما، ألستما تبصرانه؟!».

وقد علمت زوجتا الرسول صلى الله عليه وسلم بغيرته عليهما، فأسرعتا تنفذان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، لعلمهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحبهما، ويغار عليهما.





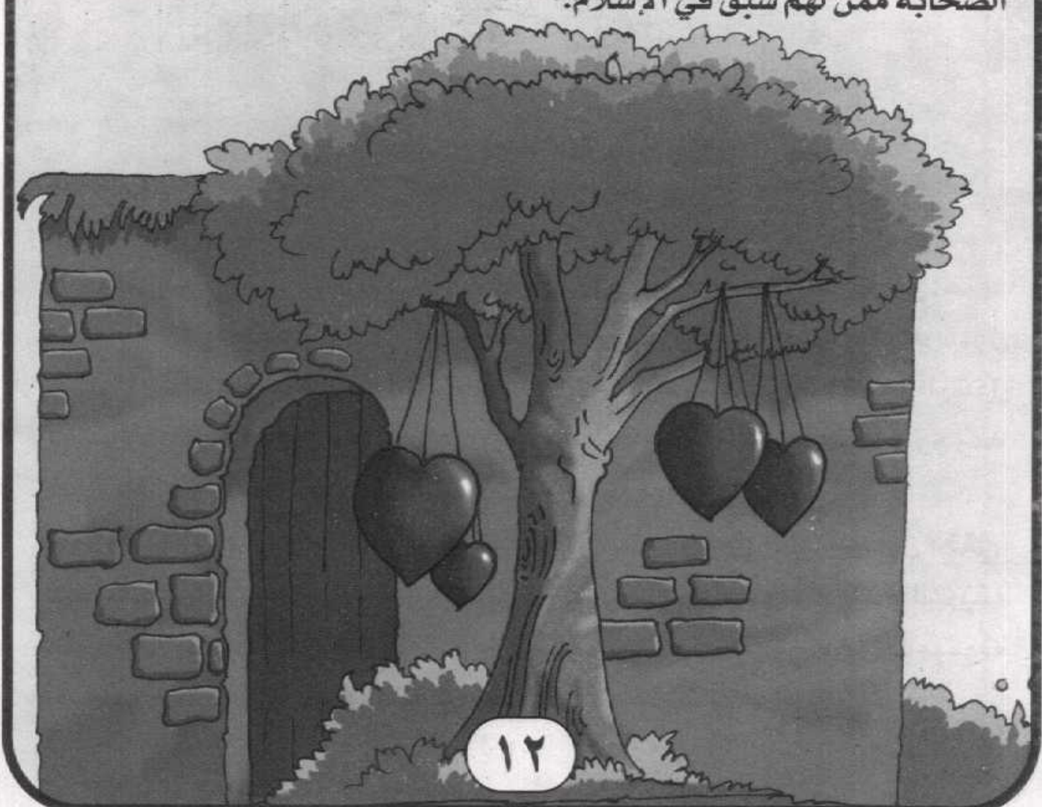
ولما تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث من قبيلة هلال، جاءوا يعلنون إسلامهم بعد أن علموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج منهم. ولما جاء أقارب ميمونة -رضى الله عنها- كانوا يزورونها، فدخل عليها ابن أختها، وجلس معها، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم موجوداً، فلما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم وجد هذا الشاب يجلس مع زوجته ميمونة، فغضب الرسول غضباً شديداً، ولم يكن يعلم أنه ابن أختها، وإنما غضب الرسول واحمرّ وجهه غيرة على زوجته، إذ كيف تمكث مع شاب من قومها وحدهما.

فلما رأت ميمونة -رضى الله عنها- ذلك، قالت: يا رسول الله، إنه ابن أختي، فهدأت نفس النبي صلى الله عليه وسلم، واقترب من الشاب، ومسح بيده الشريفة على وجهه، ودعا الله أن يبارك فيه، وأن يوفقه لما يحب ويرضى، وعرفت ميمونة حب النبي صلى الله عليه وسلم لها، ففرحت فرحاً شديداً.

كان النبي صلى الله عليه وسلم محبًا لزوجاته، وكان أكثر ما يحب خديجة بنت خويلد -رضى الله عنها-، ثم بعدها عائشة بنت الصديق أبي بكر. وقد عرف ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان الرسول يقدر صغر سن عائشة، فهي الزوجة البكر من بين زوجاته، فقد كان يراعي ذلك فيها، فيلاطفها بكلمات الحب البريئة، وكان يداعبها ويلاطفها، فقد قال لها يومًا: «حبك يا عائشة في قلبي كالعروة الوثقى»، ما أحسن هذه الكلمات التي تجعل البيت مبنيًا على الحب، وما أحوج الزوجين إلى مثل هذه الكلمات اللطيفة التي تجعل من البيت جنة عظيمة، أساسها الحب والمودة والرحمة.

ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يخفي هذا الحب، بل كان يعلنه لأصحابه، فقد سأله عمرو بن العاص -رضى الله عنه- يوما: يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟

فقال صلى الله عليه وسلم : «عائشة». فقال عمرو: من الرجال؟ فقال: «أبوها» يعني أبو بكر. فقال عمرو: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب، ثم عدد رجالاً من الصحابة ممن لهم سبق في الإسلام.





لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم رقيق القلب، لطيف المعاملة، ففي يوم من الأيام كان جالساً مع عائشة -رضى الله عنها- فقال لها: «إني لأعلم متى كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبى». فقالت عائشة بروح لطيفة: ومن اين تعرف ذلك؟

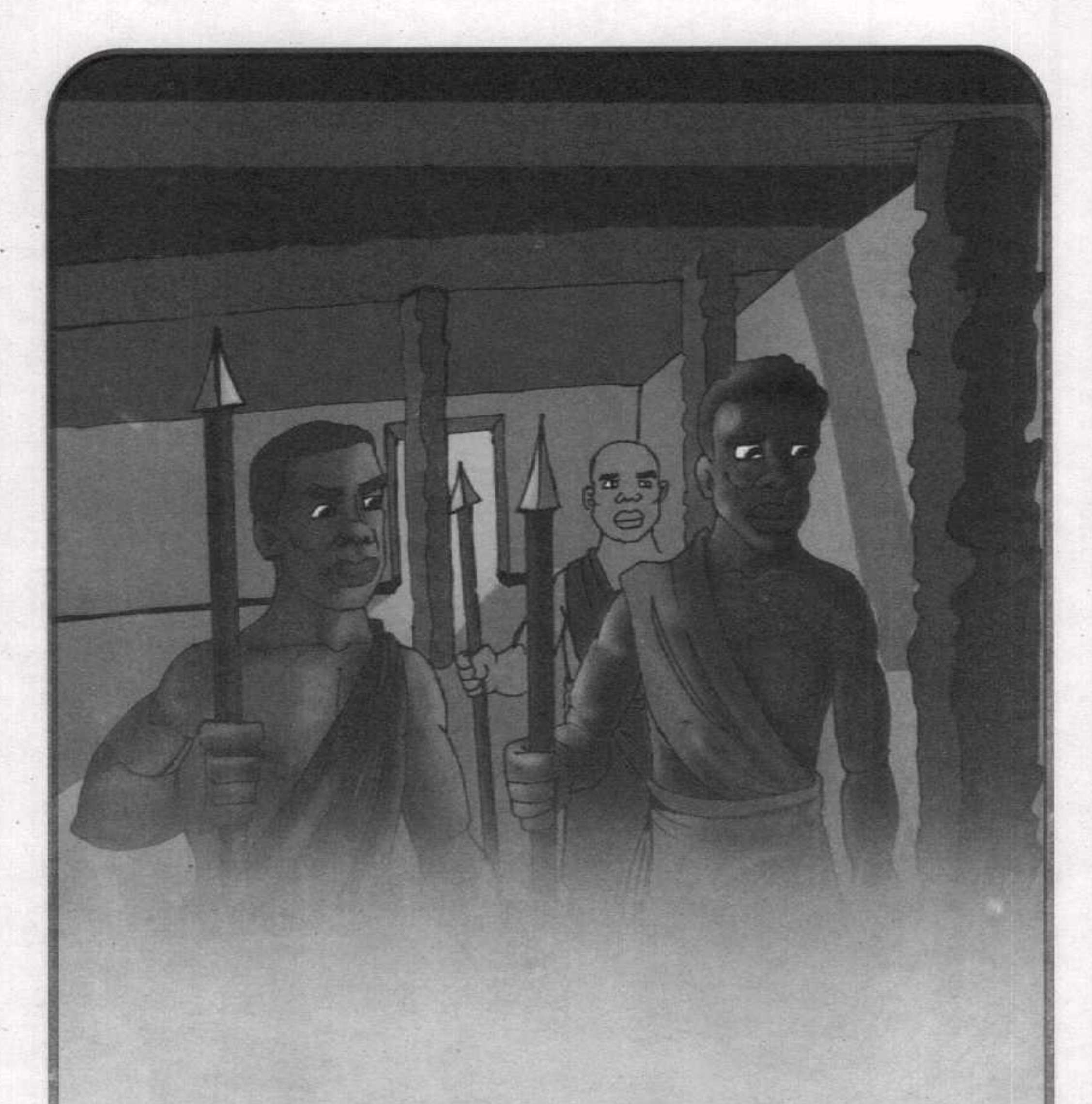
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : أما إذا كنت راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم.

فقالت السيدة عائشة: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك.

فقد كانت علاقة الحب بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين زوجاته -وعائشة خاصة- قوية، تفيض بالحنان، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم كنبي للأمة، ورسول من رسل الله، ليهمل في حق زوجاته، ولا أن يترك ما يشعر زوجاته بحب الزوج لزوجته.

وكانت عائشة تظهر غيرتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعرف الرسول ذلك منها، فقد يقول لها: «أغرت؟». فتقول: ومالي أن لا يغار مثلي على مثلك.
وقد لا يصدق السامع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمارس بعض الرياضات مع بعض نسائه، ففي إحدى الغزوات، اقترع النبي صلى الله عليه وسلم بين نسائه، فخرجت قرعة عائشة، فلما سافرت معه، أمر الصحابة أن يسرعوا، وتقدم النبي الكريم إلى عائشة يعرض عليها أن يدخل معها في سباق جري، وبدأ السباق، وكانت عائشة -رضى الله عنها- صغيرة السن، فسبقت النبي صلى الله عليه وسلم .
وفي سفر آخر، أعاد النبي صلى الله عليه وسلم معها ما سبق، وجرى النبي صلى الله عليه وسلم مع عائشة، ومازال الرسول صلى الله عليه وسلم يجري، وعائشة تجري، حتي سبقها الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المرة، بعد أن سبقته في المرة الماضية، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم وهو يداعبها: هذه بتلك. وهي بلغة العصر: واحدة .. بواحدة.





ما أعظم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن يضيق على أهله، بل لما رأت عائشة -رضي الله عنها- الحبشة يلعبون بحرابهم، طلبت من الرسول صلى الله عليه وسلم مشاهدتهم، فجعلها خلفه، وهي تنظر إليهم، حتى سئمت من المشاهدة، فقالت: كفى يا رسول الله. فلما علم الرسول أنها أخذت كفايتها في مشاهدة هذه الرياضة أشار إلى الحبشة أن يكفوا.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقدر نساءه قدرهن، وينزل كل واحدة منزلتها، مع معاملته لهن بالعدل، وقد كان مقوقس مصر قد أهدى له جارية اسمها مارية، فاختارها الرسول صلى الله عليه وسلم لتكون له سرية، كما كان هو الحال قديماً، وقد أكرمها الله تعالى بأن حملت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففرح الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقدر أن الحامل لابد أن تأخذ راحتها في المسكن والمأكل والمشرب، فنقل مارية إلى العالية بضواحي المدينة، كي تكون في راحة وأمان.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسهر على راحة مارية، فيقضي حاجتها، ويترفق بها في معاملتها، ولما حانت ساعة الولادة، وأسرع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سلمى زوج أبي رافع القابلة، لتقوم بولادة مارية، وقام الرسول ناحية الدار يصلي لله تعالى أن يخفف عن مارية، ومازال الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي، حتى جاءته البشرى بأن مارية وضعت وليدها، فاستبشر الرسول صلى الله عليه وسلم وحمد الله تعالى، وهنأ مارية، فقد أصبحت حرة، لأن الإسلام يجعل الأمة إذا ولدت من سيدها حرة، واقترب الرسول من مارية يخفف عنها تعب الولادة، وكان كثيراً ما يذهب إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

